الفصل السادس

الأوجه المتعددة للإبادة الجماعية

في الكتابات عن التطهير أعيد تعريف الإبادة الجماعية على أنها الشكل المتطرف لظاهرة أوسع، ويُطابق هذا تقريبًا وجهة النظر القانونية بأن الإبادة الجماعية صنف جريمة محدد وضيق المعنى؛ ليتم وضعها بجانب الفئات الأوسع من جرائم الحرب والجرائم المرتكبة ضد الإنسانية، ورغم أن هذه التمييزات التصنيفية ليست كافيةً لأغراض علم الاجتماع، وأثَّرت في الكتابات عن طريق الإيحاء بأن الإبادة الجماعية ليست إلا شكلًا واحدًا من العنف يتم توجيهه نحو مجموعات مدنية، وردًّا على هذا التصنيف فقد رأى الأدب المتوسع بصورة سريعة تكاثرًا ظرفيًّا للمفاهيم لوصف أشكالٍ أخرى من العنف، وما التطهير العرقي سوى أكثر الأمثلة بروزًا لنزعةٍ أوسع قد أربكت فهم الإبادة الجماعية. في هذا الفصل استكشف الأدغال التصورية وأحاول أن أعبِّد الطريق لعبورها.

الإبادة الشعبية

كانت النزعة العامة تميل لرفض أو إهمال مقاربة لِمكن الواسعة والمركزة على التدمير الاجتماعي، ومع ذلك فقد قاد تقليص الإبادة الجماعية إلى

القتل وإلى شكلٍ خاص من العنف إلى بحثٍ عن مفاهيم رئيسة واسعة جديدة للاستعاضة بها عن الإبادة الجماعية، واستمر الباحثون بإدراك المشكلة التي أرَّقت لِمكن، وهي الحاجة إلى مفهوم شامل بصفته إطارَ عمل لفهم العنف المستهدف ضد المدنيين، وقد جاؤوا بحلولٍ جديدة عوضًا عن هذا المفهوم، وهكذا يستعمل مان تعبير التطهير القاتل بوصفه مفهومًا رئيسًا يتدرج في تنوعاته وفق درجات التطهير والعنف المستخدمَين[1]، وبصورةٍ مماثلةٍ يقترح رودي روميل Rudy Rummel مصطلح الإبادة الشعبية؛ أي قتل أي شخص أو شعب من قبل الحكومة بما في ذلك الإبادة الجماعية، والإبادة السياسية والقتل الجماعي بصفته مفهومًا مكتنفًا لكل أنواع القتل[2]. بسبب تركيزه على وفيات الأفراد يستخدم روميل مصطلح الإبادة الشعبية لقياس ومقارنة عدد ضحايا الأحداث أكثر من هدفه شرح العمليات الاجتماعية، ويقود هذا المصطلح نحو مقاربة إحصائية مكومًا الجثث بصورةٍ مجردة، إن كل فصلٍ من فصول كتاب روميل يتضمن تعدادًا للجثث في عنوانه بدلًا من تحليلٍ اجتماعي، فيظهر كيفية انبثاقها من علاقات سياسية واجتماعية معقدة، وعلاوةً على ذلك فالإبادة الشعبية مفهوم واهٍ، يُخرِجُ الديناميات الاجتماعية والفئوية من القتل الجماعي كي يتم تضمين أي قتلٍ حكوميٍ اعتباطي، حتى وإن كان لفردٍ واحد، ولهذا السبب يموه مصطلح الإبادة الشعبية الخط الفاصل بين القمع والإبادة الجماعية، ويصنف أيضًا القتل بالأداة، فعن طريق التركيز على الحكومات وحدها يفصل بصورةٍ زائفةٍ عمليات القتل الحكومية عن تلك المكملة للعسكرية والمجتمعية، ويقوم بفصل القتل عن الإكراه والعنف السياسيين الآخرين اللذين يرتبطان معه بصورةٍ وثيقة.

يوحد إطارا مان وروميل نطاقًا من المفاهيم الثانوية التي طوَّرها باحثون لوصف أشكال الاضطهاد والعنف السياسيين، بما في ذلك الإبادة الجماعية بصفتها شكلًا محددًا، وبعكسها يُقيل أن معظم هذه المفاهيم مفيدة بصورةٍ صريحة، وتوجد للعديد منها استعمالات محدودة وحسب، بينما تكون أخرى مضللة، وينبغي نبذها، حتى عندما ترمز إلى حقائق مميزة فغالبًا ما تكون معروضةً بوسائل تفصل الواحدة منها عن الأخرى سطحيًا، ويعدُّ التكاثر التصوري مشكلة بحد ذاته، إذ بينما توجد حاجة للغة مرنةٍ لوصف تنوعات الإبادة الجماعية، فإن التأكيد المبالغ على الاختلافات الثانوية يربك المناقشة، واختراع مصطلحاتٍ جديدةٍ يهدد برسم أنماط من الأفعال تنتمي للإبادة الجماعية على هيئة ظواهر منفصلة، والظواهر المتنوعة ليست متحفظة تاريخيًّا، لكنها تميل لجمعها بطريقةٍ أو بأخرى، نحن بحاجةٍ إلى مفهومات ونظرياتٍ تربطها معًا عوضًا عن فصل بعضها عن بعضها الآخر.

بصفتنا علماء اجتماعيين لا نستطيع أن نشرِّع الاستخدامات الاجتماعية الأوسع للمصطلحات، لكن بإمكاننا أن نوضح خاصتنا، وبهذا نسهم في الجدل الثابت، وفي هذا الفصل أنظر إلى المصطلحات الرئيسة التي استخدمت، وأقترح أن أوجه القتل الجديدة المتعددة هي في الواقع الأوجه المتعددة للإبادة الجماعية، وعلاوة على ذلك تقدَّم تكاثر المصطلحات بشكل مريع على خطى لِمكن، فكرر المبتكرون كلهم تقريبًا مقاربتهم عن طريق إضافة مصطلح إبادة إلى جذر موجود، رغم أنني انتقدت مصطلح التطهير العرقي إلا أن له خاصية تعويضية، وهي أنه ليس تعبيرًا آخر يستخدم مصطلح إبادة.

الإبادة العرقية

لعل أحد الأسباب في أن التطهير العرقي ليس تعبيرًا يحتوي على مصطلح إبادة، أن أكثر المصطلحات وضوحًا إبادة عرقية له بالأصل معانٍ أخرى، فقد ذكر لِمكن هذه الكلمة في جمع كلمة (genos الأنواع البشرية) إلى اللاحقة (cide – إبادة)، ولاحظ أنه «بالإمكان استعمال مصطلحٍ آخر من أجل الفكرة نفسها، وتحديدًا الإبادة العرقية»[3]، ولم ينتشر هذا الاستخدام رغم أن ستيوارت د. شتاين Stuart D. Stein لاحظ أن مصطلح الإبادة العرقية يشير بصورةٍ عامة «إلى تدمير أفراد مجموعة ما كليًّا أو جزئيًّا، ويتم تحديد هؤلاء الأفراد من حيث أصولهم العرقية»، ويرتبط استخدام هذا المصطلح تصوريًّا ونظريًّا بمصطلح الإبادة الجماعية، ومع ذلك يستمر بقوله «نظرًا إلى أن عبارة الإبادة العرقية مستخدمة للإشارة إلى تدمير أفراد مجموعة، كليًّا أو جزئيًّا، بناءً على أصولهم العرقية، فإن هذه الممارسة ستشكل بالتزامن إبادةً جماعية»[4].

تنشر دراسة رينيه لمارشاند Rene Lemarchand عن دولة بوروندي بهذا المعنى «بصفة عبارة مترادفةٍ بصورةٍ بالغة مع الإبادة الجماعية»[5]، ويبدو أن من غير المجدي استخدام مصطلحٍ خاص من أجل تدمير المجموعات العرقية عندما تكون تلك أحد أهم الأنماط التي نُظر إليها على أنها أهداف الإبادة الجماعية، فلو أننا اتبعنا هذا المنطق لاحتجنا أيضًا إلى إبادة قومية، وإبادة عرقية، وإبادة دينية للإشارة إلى الأنواع الأساسية الأخرى في الاتفاقية، لكن لحسن الطالع لم يقترح أحد استخداماتٍ كهذه، ومع ذلك فإن استخدام مصطلحات مثل إبادة حسب الجنس وإبادة سياسية وإبادة طبقية الذي أناقشه

فيما يلي، حيث يتضمن تحديدًا الفكرة نفسها التي تنص على أن تدمير كل صنف من المجموعة يحتاج إلى مصطلحه الخاص به، وهذا ليس ملائمًا تمامًا، ويقوم بتشظية نقاش تدمير المجموعات بصورةٍ غير ضرورية، إذ بإمكان مصطلح الإبادة الجماعية تغطية تدمير المجموعات الأخرى في الوقت نفسه الذي يمكنه فيه أن يغطي تدمير الأصناف الأربعة للمجموعات المسماة في الاتفاقية.

مع ذلك فقد استُخدِم مصطلح الإبادة العرقية بصورة أوسع بمعنًى محدود أكثر؛ أي الإبادة الجماعية الثقافية، حتى إنه قد «استُبدِلَ بالكلمة المروعة الإبادة الثقافية»[6]، وحُدِّد بهذا المعنى عالميًّا في العام 1981م عندما صرَّحت منظمة اليونسكو (منظمة الأمم المتحدة للتربية و العلم و الثقافة) بما يأتي:

> «يعني مصطلح الإبادة العرقية أن هناك مجموعة عرقية حُرِمت حق التمتع والتطوير ونشر ثقافتها ولغتها الخاصتين بها، سواءً كان ذلك بصورة فردية أو جماعية، ونصرح أن الإبادة العرقية التي تعني الإبادة الجماعية الثقافية تعد خرقًا للقانون الدولي، وتعادل الإبادة الجماعية المدانة من قبل اتفاقية الأمم المتحدة بشأن منع جريمة الإبادة الجماعيةومعاقبة مرتكبها»[7].

توضح الإشارات إلى الإبادة الجماعية الثقافية، وإلى الاتفاقية صلات وثيقة بالمفهوم الرئيس، لكن يُستَخْدَمُ مصطلح الإبادة العرقية الآن في وصف القمع الثقافي غير المرتبط، ويتميز نطاق الإبادة العرقية بصورة مؤثرة عن الإبادة الجماعية عن طريق تطبيقه في القمع الثقافي غير المصحوب بالعنف أو القتل المنتشرَين.

يكون من المربك أن نساوي الإبادة العرقية بالإبادة الجماعية الثقافية، وينبغي علينا أن نستذكر أن لِمكن أصرَّ عمومًا على أن القمع الثقافي بمقام

الإبـادة الجماعيـة فقـط عندمـا رُبط بالتدميـر الأعمق حتى لو ظهر فـي أوقاتٍ متراخيًا مع هذا المعيار، وما زال بعض الكتّاب عن الشعوب الأصلية يتحدثون عن الإبادة الجماعية الثقافية ليشيروا إلى القمع غير المدمر، ويشكك موزس فيما إذا كان مـن المرضي حقًّا أن نعادل الإبادة الجماعية الثقافية والإبادة البدنية، مُجـادلًا عِوضًـا عن ذلك برؤيةٍ دينامية عن العلاقات بينها؛ وعلى سـبيل المثال احتماليـة التصعيـد مـن تعبيرٍ إلى آخـر[8]، باتباع هذا المنطق ينبغـي أن نتجنب استخدام مصطلح الإبادة الجماعية للأوضاع التي لا توجد فيها محاولة لتدمير مجموعة بمعنًى عنيف؛ فعلى سبيل المثال حين يُسمَحُ لتجمع سكاني بالعيش في موطنه من خلال اندماجٍ قسري، وحين يُسمَحُ لثقافته بالاستمرار عن طريق بث شفوي في العائلات والمجتمعات الدينية والقرى التي لا يخترقها نفوذ الدولة.

ولتعقيد هذا الارتباك اسـتخدم الإبـادة العرقية أيضًا للحالات التي تُدَمَّرُ فيهـا مجموعـة مـا، لكن من دون نية مسـبقة لتدميرها من جانـب قامعيها، فلم تكن حضارات ما قبل كولومبوس في العالم الجديد مُضطهدةً وحسب من جانب المسـتعمرين الأوروبيين، بل كانت تجمعاتها مُهلَكةً -وفي بعض الأحيان ممحيةً بالكامـل- من خلال أمراضٍ وافدةٍ. باسـتخدام العبارة بهـذا المعنى يضع مان الإبـادة العرقية في عمود «الوفيـات الجماعية غير المتعمدة في جدوله الخاص بـالتطهير العرقي القاتل»[9]، لكن كلما دُمِّرت مجموعة بهذه الطرق تُطرح أسئلة عن نوايا ومسؤولية القوى التي تحكمها بصورةٍ حادة، والدول والجيوش التي تفشل بإيقاف انتشار أو رفع آثار المرض أو المجاعة -وبالتأكيد أولئك الذين يستغلون هذه الأوضاع- قد تنوي عن عمد التدمير الذي تغاضت عنه في بادئ الأمر[10].

وللختام فإن المعاني الرئيسة للإبادة العرقية مناقض بعضها لبعضها الآخر، واستخدامها بحاجة ملحةٍ للتوضيح، فمن الواضح أن القمع الثقافي واللغوي البالغ لا يحقق غرض تدمير المجموعة، ولا يمكن عدُّه إبادةً جماعية، رغم أنه في بعض الحالات قد يكون هو نذيره. تعد الفكرة القائلة بأن الإبادة العرقية هي إبادة جماعية ثقافية فكرةً مضللةً، إذ لا يمكن للإبادة الجماعية الثقافية إلا أن تعني البعد الثقافي للإبادة الجماعية، وهو شيء مكمل لهجوم الإبادة الجماعية، وبصفته مصطلحًا للقمع الثقافي والاجتماعي غير المرتبط بالإبادة الجماعية، يبدو مصطلح إبادة عرقية مضللًا بما أن اللاحقة إبادة تدل على محاولةٍ لقتل الثقافة، والقمع لا يتضمن دائمًا نوايا جذرية كهذه، ولا يزال يحمل نتيجة التدمير الناجح.

من أجل هذه الأسباب كلها يتعيَّن علينا أن نناقش فائدة تعبير الإبادة العرقية كما يصيغ شتاين الأمر: «فإن صلته القريبة بمفهوم الإبادة الجماعية والتضخيم المتنوع بشكل ما، والمربك لمعناه من دون إشارة مناسبة لصفاته المشتقة من اتفاقية الإبادة الجماعية عام 1948م، أو من كتاب لِمكن، تميل إلى إرجاعه لمظهره السطحي لكلا الغرضين التحليلي والوصفي»[11]، ومن الأفضل الإشارة بالقمع الثقافي للنفي المسبق للإبادة الجماعية الثقافية، وبالبعد الثقافي للإبادة الجماعية للقمع الذي يكون جزءًا من عملية إبادة جماعية أوسع، وبتدمير المجموعات غير المتعمد للحالات التي يتم فيها تدمير المجموعات بوساطة مرضٍ أو مجاعةٍ غير مقصودة أصلًا.

الإبادة الجماعية حسب الجنس

أُدخِلَت كلمات عدة متبوعة بمفردة إبادة في السنوات الأخيرة، يرى منشئوها وأنصارها أن صياغتها الجديدة متميزةً عن الإبادة الجماعية، فثمة مصطلح يعرض المعضلات التصورية الأوسع وهو الإبادة حسب الجنس، الذي تداولته ماري آن وارن Marry Anne Warren التي تضعُ مماثلةً بين مفهوم الإبادة الجماعية وما أدعوه الإبادة حسب الجنس، إذ يعرِّف قاموس أوكسفورد الأميركي الإبادة الجماعية بأنها الإفناء المتعمد لعرقٍ من الناس، ومن خلال المماثلة ستكون إبادة الجنس بذلك الإفناء المتعمد للأشخاص ذوي جنس معينٍ أو من حيث الذكورة والأنوثة، وقد استُخْدِمَت مصطلحات أخرى مثل الإبادة الجماعية للنساء، أو الإبادة الجماعية للإناث، للإشارة إلى القتل غير الشرعي للفتيات والنساء، لكن مصطلح إبادة حسب الجنس مصطلح حيادي، بمعنى أن الضحايا قد يكونون ذكورًا أو إناثًا، وهناك حاجة إلى مصطلحٍ حيادي كهذا بالنسبة إلى الجنس؛ لأن القتل التمييزي حسب الجنس باطل تمامًا حين يكون الضحايا ذكورًا، كما يدعو المصطلح أيضًا للانتباه إلى واقع أنه غالبًا ما يكون لأدوار الجنس عواقب قاتلة، وأن هذه العواقب تكون ذات صلة مهمة ومتماثلة مع العواقب القاتلة للتحامل العرقي والديني والطبقي»[12].

وعند التناظر مع الإبادة الجماعية ستكون الإبادة الجماعية حسب الجنس تدميرًا متعمدًا، رغم أنه ليس بالضرورة أن يكون إبادةً بدنية لمجموعة من الناس ذوي جنس معين، وإذا كانت وارن قد خاضت أكثر في دراسات الإبادة الجماعية من القاموس، فربما أدركت أن العديد يعدّون تدمير أي نوع

مـن المجموعات تحـت مبدأ الإبادة الجماعية، وناقشـت الحاجـة إلى مصطلح الإبادة العرقية للإشـارة إلى تدمير الأهداف العرقية بصورةٍ مميزة، كذلك قد نجد مصطلح الإبادة الجماعية حسب الجنس سطحيًّا.

تكمـن المشـكلة الأكبـر فـي أن بضعـة أحـداث تسلسـلية تمت فيهـا إبادة مجموعة من الناس بصورةٍ أساسية بسبب جنسهم، وكما يشير آدم جونز «تركز وارن على الإبادة الجماعية للأطفال الإناث، والسحرة في أوروبا الوسطى، وحرق الأرامل في الهند، وتشويه الإناث، وحرمان النسـاء حق الإنجاب، والإيديولوجيات الكارهة للنسـاء واختيار جنس الأطفال»[13]، وفي حال أن هذه كلها أشـكال عنفٍ وتمييزٍ منتشرة ضد النساء والفتيات إلا أنها لا تصل إلى محاولة تدمير النساء أو الأطفال الإناث بصفتهم فئة من الشـعب، بل على العكس، فكلها أشـكال من القمع المصمم لتعزيز مكان معينٍ للنساء في ثقافاتٍ معينةٍ.

توسع جونز Jones بمفهوم الإبادة الجماعية يغوص بنا إلى الأعماق، مشيرًا إلـى أن مصطلح الإبادة الجماعية حسـب الجنس وللأغراض كلها محدود في تحليل وارن المتعلق بالإبادة الجماعية للجنس والمعادية للإناث، ويعيد تعريف المصطلـح بأنـه «قتل جماعي حسـب تحديد الجنس»[14]، وكان هدفه الأساسـي توسـيع التحليـل ليصل إلى قتل الرجال بمـا أن «الرجال غير المقاتلين كانوا ولا يزالـون أهدافًـا متكررة للقتـل الجماعي ومذابح الإبـادات الجماعية، بالإضافة إلـى مُقيمي الوحشـيات والاعتـداءات الأخف وطأة»[15]، ويوثـق جونز حالات عدة ذُبح فيها الرجال -في سريبرينيتشـا عام 1995م- حيث قتلت القوات الصربية رجـالًا غيـر مسـلحين بأعمـار المقاتلين، بينما طـردت النسـاء والأطفال وكبار السن من الرجال في الحافلات إلى الحماية النسبية لأرض الحكومة البوسنية،

حيث تعد أمثلة كهذه عوامل تعديلية لمفهوم العنف وفق الجنس بصورةٍ رئيسةٍ ضد النساء، لكن لا تبلغ بالفعل حالات جونز قدَر التدمير المستهدف للرجال بصورةٍ عامة أكثر من حالات وارن بخصوص النساء، الذي سيكون لازمًا لعرض وجود الإبادة الجماعية حسب الجنس.

«القضية الرئيسة للتدمير حسب الجنس واحدة لم يشدد عليها أي من المعلقين كمحاولة النازيين تدمير التجمعات السكانية المثلية في ألمانيا»[16]، فالمجموعات ذات التوجهات الجنسية كالذكور الشواذ مستهدفة أكثر للإبادة الجماعية أكثر من النساء أو الرجال إذا جاز التعبير، حتى إنه من غير المحتمل أكثر بالنسبة إلى القادة الكارهين للنساء أن يدمروا الصنف الاجتماعي للنساء في المجتمع الذي يحكمونه، وحتى أكثر المؤيدين للمساواة بين الجنسين عنفًا وتعصبًا -حركة جمعية التخلص من الرجال (SCUM حثالة) المشهورة التي لم تستمر طويلًا- من المستبعد أن يكون لهم أي تخطيط خطير لتدمير الرجال عامةً حتى في مكانٍ معينٍ، وعلى الأغلب فإن التخلص من الناس ذوي التوجهات الجنسية التي تعد أقليةً أكثر عرضة لأنه يعدُّ مرغوبًا وملائمًا.

أنصار مفهوم الإبادة الجماعية حسب الجنس يتحدثون عن أشكال العنف التي تختلف عن تلك التي يشير إليها تناظر الإبادة الجماعية، ومنطقيًّا تلفت وارن الانتباه إلى العنف واسع الانتشار ضد النساء، لكن ذلك العنف ليس قابلًا للمقارنة مع الإبادة الجماعية، ويلفت جونز الانتباه لتجنيس حالة الضحايا في الإبادة الجماعية، ولاسيما في نزعة القوى المسلحة لاستهداف الرجال المدنيين، لكن ذاك بعد واحد لعملية إبادةٍ جماعيةٍ أوسع، فتجنيس الإبادة الجماعية (أي أن يكون النساء والرجال مستهدفين بطرقٍ معينةٍ تتعلق بأدوارهم

الاجتماعية حسب جنسهم وأعمارهم،... إلخ) رؤية مهمة، وخلال هذا العنف لا ينوي المجرمون عادةً تدمير المجموعات وفقًا للجنس، بل المجموعات العرقية والقومية وغيرها التي حُدِّدت على أنها العدو، ففي سريبرينيتشا قُتِلَ الرجال لأنهم كانوا ذكورًا مسلمين، ومقاتلين محتملين من أجل القضية البوسنية ومقاومين لتدمير مجتمعهم، وفي راوندا قام قوميو قبيلة الهوتو باغتصاب النساء، واستعبادهن ليس لأنهن نساء، بل لأنهن من قبائل التوتسي؛ لذا يبدو أكثر فائدة أن نفهم هذه الأشكال من العنف ضد أحد الجنسين من ناحية البُعدِ المتعلق بالجنس للإبادة الجماعية، بدلًا من النظر إليها على أنها ظاهرة منفصلة تدعى الإبادة الجماعية، ودحض هذا الإكثار التصوري هو جدال جونز من أجل إعادة إحياء عبارة «الإبادة الجماعية للنساء gynocide لعملية قتل النساء، وإدخال تغييرٍ جديدٍ أيضًا هو الإبادة الجماعية للرجال androcide لعملية قتل الرجال»[17]، وعند هذه النقطة ينبغي أن يتوقف الجنون الاصطلاحي العام، فاستخدام مصطلحات منفصلة من أجل قتل الرجال والنساء يقلل من معاناة الضحية، وبالتأكيد ليس المقصود من يُقَتَلُ، بل الحقيقة أن الناس العزَّل يتم إيذاؤهم بسبب كيفية النظر إليهم على أنهم أفراد ذوي أجناس؛ من أجل تدمير وجودهم الاجتماعي بصفتهم جزءًا من المجتمع.

الإبادة الجماعية السياسية

رغم أن الإبادة الجماعية حسب الجنس مصطلح أحدث للإبادة، إلا أن المشكلات التي تسببها تنطبق أيضًا على مفاهيم أكثر ثباتًا، لقد كانت الجدالات بشأن قتل المجموعات السياسية مركزيةً منذ زمنٍ طويلٍ حول الإبادة

الجماعية، فقد رأى لِمكن «أن تدمير المؤسسات السياسية للمجموعة جزء من الإبادة الجماعية، لكن في عملية صياغة الاتفاقية كان تضمين المجموعات السياسية أكثر القضايا إثارة للجدل»[18]، حيث قام المندوبون السوفييت وبصورةٍ غير مفاجئةٍ -نظرًا إلى اضطهادات ستالين- بالمجادلة بشدةٍ ضدها، وقاد استثناء المجموعات السياسية إلى انتقادٍ صارمٍ لـ «نقطة الاتفاقية العمياء»[19]، وجادل العديد من الباحثين من أجل إدراجها في تعريف موسع.

يبدو -في ظاهر الأمر- أن هناك اختلافاتٍ مهمة بين المجموعات السياسية والمجموعات الإثنية والقومية والعرقية والدينية التي تحميها الاتفاقية، وتُنسب العضوية في معظم هذه الأصناف غالبًا إلى الأعضاء الأفراد فيها، لكن تلك المتعلقة بالمجموعات السياسية اختيارية؛ أي يختار الناس أن ينضموا إليها، والهيئات الجماعية السياسية هي اتحادات بصورةٍ عامةٍ، بينما يدعو فين المجموعات الاجتماعية الأساسية -بما فيها الطبقات الاجتماعية بالإضافة إلى أولئك المحميين بوساطة الاتفاقية بشكل محتمل على الأقل- بالمجتمعات، فالمجموعات السياسية كالأحزاب «هي منظمات قوة مكثفة تقوم بحشد القوى بالتحديد كي تدخل في النزاع السياسي، بينما يعتمد ترابط معظم أنواع المجموعات الاجتماعية على القوة الممتدة في الحياة الاجتماعية والثقافية»[20]، علاوةً على ذلك فالاتحادات السياسية كالأحزاب ومجموعات الضغط والحركات الاجتماعية غالبًا ما تفهم نفسها على أنها تمثل مجموعات اجتماعية، وبهذا تكون لها ميزة ودور يختلفان عن المجموعات التي تدعي أنها تمثلها، وقف لِمكن بقوة ضد ضم المجموعات السياسية «بناءً على أنها لا تمتلك الاستمرارية والسمات الخاصة بالمجموعات الأخرى»[21].

لا يمكن أن ننظر إلى هذه التمييزات ونقول إنها متزمتة، ففي حين أن المجتمعات الطبقية والعرقية ولاسيما الدينية تمتلك في الغالب ميزات ترابطية، إذ تحاول الهيئات السياسية تطوير ميزاتٍ مشتركة، وفي أغلب الأحيان تصبح الأحزاب والحركات مجتمعاتٍ تتشارك أساليب الحياة، وتعزز الخيار السياسي بأنواع الروابط المشتركة، وغالبًا ما يصبح الشركاء والعائلات الممتدة والأصدقاء الأعضاء في حزبٍ ما جزءًا من عائلة ممتدة أو مجتمع متجذرٍ بعمق في العلاقات الاجتماعية مثل علاقات الطبقات والقومية والدين، ومن وجهة نظر النظرية العامة للإبادة الجماعية فإن هذه الاختلافات ليس بإمكانها أن تكون ذات أهمية رئيسة، فلو أن مجموعة سياسية استُهدِفَت بالتدمير بطريقة أنواعٍ أخرى من المجموعات، فسيكون ذلك بالتأكيد إبادة جماعية.

الاختلافات في سمات الاتحادات السياسية ترفع أهمية القضايا الثانوية، وبما أن الإبادة الجماعية تتطور من النزاعين السياسي والعسكري وليس من كراهية بسيطة أو ضغينة ضد مجموعة معينة، فإن النخبة والناشطين السياسيين سيشكلون الأهداف الأولى للإبادة الجماعية، فقد دمر النازيون المنظمات السياسية المعارضة مثل الأحزاب الشيوعية والاشتراكية ونقابات التجارة، متخلصين منها بصفتها منظمات، وسجنوا وقتلوا ناشطيها قبل أن يستبعدوا المجتمع اليهودي في ألمانيا، وفي احتلالهم لبولندا قام النازيون أولًا باستهداف طبقة الموظفين البولندية، ولا سيما طبقة الضباط في الجيش، وفي غزوهم للاتحاد السوفييتي استهدفوا الشيوعيين إضافة إلى سجناء الحرب واليهود، وفي الإبادة الجماعية في راوندا قَتَل قوميو الهوتو

السياسيين المعارضين قبل الهجوم الجماعي على تجمعات التوتسي السكانية، وفي البوسنة أقصى القوميون الصربيون الناشطين السياسيين من الأحزاب القومية البوسنية المسلمة والكرواتية بوصفها خطوة أولى قبل التخلص من التجمعات السكانية الكرواتية والمسلمة.

ومع ذلك فنحن لا نصف أيًّا من أحداث الإبادة الجماعية هذه بصورةٍ رئيسة على أنها عمليات قتل للمجموعات السياسية، مع أن أعضاء الحزب والضباط الرسميون والأعضاء غير المسلحين من القوات المسلحة يمكن أن يصبحوا أهدافًا، لأنهم قادة لتجمعات سكانية أكبر، كما يشير زيغمونت بومان Zygmunt Bauman فإنهم عادةً مستهدفون بصفتهم منظمين محتملين للمقاومة:

«تعد النخبة التقليدية للمجتمع المدان من بين مصادر المقاومة التي يجب تدميرها لجعل العنف مؤثرًا؛ أي المصادر التي يكون تدميرها جدليًّا، وهي المغزى المركزي للإبادة الجماعية ومقياس تأثيرها في نهاية المطاف، والأشد أهمية إلى حد بعيد، والتأثير الأكثر إبداعًا للإبادة الجماعية هو قطع رأس العدو، فمن المأمول أن تخسر المجموعة المستهدفة حالما يتم حرمانها قيادتها ومراكز سلطتها وترابطها وقدرتها على تغذية هويتها الخاصة بها، وإمكاناتها الدفاعية، وسينهار الهيكل الداخلي للمجموعة متسببًا بنشرها إلى مجموعة من الأفراد الذين يصبح عندئذ من الممكن اختيارهم واحدًا تلو الآخر، وضمهم في هيكلٍ جديدٍ يديره المنتصر، أو إعادة تجميعه بالقوة إلى فئة خاضعةٍ ومعزولةٍ يحكمها ويضبطها مديرو النظام الجديد مباشرةً»[22].

نلاحظ أن بومان ينظر باستحقاقٍ إلى القضية على أنها تخص نخبة المجتمع بصورةٍ عامةٍ بدلًا من أن تكون عن قيادتها السياسية.

ومن حينٍ لآخر «كان تدمير المجتمع السياسي مقصودًا ليخدم جانبًا مُحَدِّدًا لمسلسل الذبح برمته، والأمثلة الرئيسة هي تدمير اليسار الإسباني، وحركات الطبقة العاملة من قبل ثائري الجيش الإسباني بين عامي 1936م و1939م ونظام فرانكو الذي أتى تاليًا»[23]، والقتل الجماعي للشيوعيين من جانب الجيش الإندونيسي في عام 1965م الذي تم فيه «تدمير حزبٍ ومن كانوا مرتبطين به»[24]، وُصِفَ الحدث الأخير بأنه إبادة جماعية سياسية كان المستهدف الرئيس فيها مجموعة سياسية، و«استُخْدِمَ هذا المصطلح من قبل مؤلفين مثل باربرا هارف وتيد غور، واقتبسه مان»[25]، إلا أننا قد نسأل إن كان ينبغي أن تُعرِّف الإبادة الجماعية السياسية على نحو مختلف من الإبادة الجماعية، فعمليات الإبادة الجماعية السياسية المتمرسة التي يكون الحزب والمجتمع السياسيان المحيطان بها هي الأهداف الأساسية لسياسة التدمير، ليست مختلفةٍ بصورةٍ نوعية عن عمليات الإبادة الجماعية الأخرى، في حين تكون النخب السياسية وغيرها مستهدفة بصورةٍ شائعة في الإبادة الجماعية، ولذلك يبدو من الأفضل أن نرى الإبادة الجماعية السياسية على أنها نوع من الإبادة الجماعية، والاستهداف السياسي على أنه بعد عام للإبادة الجماعية، حيث يكون الأعداء السياسيون مستهدفين أيضًا أو بصفتهم العناصر القائدة للأعداء من أعراق أو طبقات أو مجتمعات أخرى.

الإبادة الجماعية الطبقية

يعدُّ استهداف الطبقات الاجتماعية من أجل التدمير أمرًا غير مألوف، فإذا كان التاريخ كما اقترح كارل ماركس وفريدريك إنجلز تاريخ «نزاع الطبقات»[26] فإن الطبقات الاجتماعية لا تدمر بعضها بعضًا، ففي تاريخ الحضارات المعقدة الطويل غالبًا ما شرَّدت بعض المجموعات بعضها الآخر بصورةٍ عنيفةٍ من خلال الحرب والغزو، وقامت بذبح أعدائها قبل الاستقرار واستيعاب بقاياها والمجتمعات التي تحكمت بها في إمبراطورياتها الخاصة، وخلافًا لذلك غالبًا ما صَعَدت المجموعات الحاكمة حديثًا تدريجيًا من خلال صنع أشكال جديدة من الثروة والنفوذ فيما يدعوه الماركسيون الانتقال من الإقطاعية إلى الرأسمالية، حيث أزاح الرأسماليون تدريجيًّا النفوذ التقليدي لأصحاب الأراضي الإقطاعيين ودمجوهم بصورةٍ عامةٍ على أنهم طبقة النبلاء في نظام نفوذٍ مبنيٍ على الرأسمالية. لم ترتكب الطبقات الحاكمة الجديدة إبادةً جماعيةً ضد الطبقات الحاكمة القديمة، لكنها استوعبت أشكال نفوذها ومنزلتها وثروتها من خلال شراء الحقوق والاندماج والتزاوج بين الأسر بالإضافة إلى الإكراه.

ونادرًا ما سعت الطبقات الحاكمة لتدمير الطبقات الاجتماعية الخاضعة، فقد احتاج الحكام إلى عبيد وفلاحين للعمل في الأرض، ولاحقًا إلى عمال صناعيين، فبينما كان بإمكانهم هزيمة الثورات المتنوعة ضدهم وعلى نحوٍ دموي أحيانًا، إلا أنهم احتاجوا إلى إعادة إنتاج أساليب حياة تلك المجموعات بناءً على العمل، ومن أجل إعادة إنتاج ثروتهم الخاصة بهم،

شدد ماركس -وذلك صحيح- على «التخلص من طبقة الفلاحين الإنكليز في عملية التحول إلى الرأسمالية»[27]، تفككت مجتمعات الفلاحين وأساليب حياتهم على نحو همجي من خلال المعاناة الكبيرة من سلب الأراضي التي كانوا يقتاتون منها، وقد أسهم عنصر التدمير العنيف هذا في تفكيك مجتمعات الفلاحين، وقلل من إمكانية تطور علاقات الطبقات، ولكن هذا لا يبدو أمرًا شائعًا، ربما تكون عبودية المزارع الحديثة استثناءً آخر، فهي لم تعتمد على التدمير الجزئي لمجتمعات العبيد الإفريقيين الأصليين وحسب، بل خلقت أيضًا -في بعض المناطق- تجمع عبيدٍ كان بحاجةٍ إلى تعزيز وجوده بصورةٍ متكررةٍ عن طريق استيراد عبيدٍ جدد لاستبدال أولئك الذين دُمرت حياتهم.

إذا افترضت حركات الطبقات الخاضعة شكل الإبادة الجماعية فإن الاستثناءات موجودة حيثما تكون أشد أشكال الاستغلال مثل عبودية المزارع، إذ «تم تفريق الذين تم استغلالهم عن مجتمع الحاكمين»[28] في حركات ثورات الطبقات العاملة في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، فانتشر العنف بصورةٍ رئيسةٍ من أجل هزيمة قوة الدولة المنظمة للطبقة الحاكمة، ورغم أن الحركات كانت تهدف إلى إسقاط قوة مجموعة الطبقات المالكة، فقد كان العنف في أغلب الأحيان نتيجة انفجار الغضب، أو الطفح الشعبي بوساطة المحاربين المحليين بدلًا من الحملات المدروسة التي قام بها القادة الثوريون، واستلزمت الأفكار الاشتراكية الجذرية لإنهاء مجتمع الطبقات حلَّ المجموعات الاجتماعية من خلال عملٍ تحويلي. اعتقد ماركس أن استيلاء العمال على السلطة سيقود إلى تفكيكٍ متتالٍ للطبقات جميعها، وستنتهي الطبقة العاملة

أيضًـا، مقدمةً بذلـك التحرير لأفراد الطبقات جميعها، بينما يكون من الممكن معنويًّـا أن نعـود إلـى قراءة مخططـات التغييـرات الاجتماعية الجذريـة بمعنًى شـبيه بالإبـادة الجماعيـة، لم يقصدها ولم يمارسـها اشـتراكيو مرحلة ما قبل الحرب العالمية الأولى بهذه الطريقة.

لـم تقـم مشـروعات تدميـر الطبقـات الاجتماعيـة بمعنى مشـابه لتدمير المجموعـات العرقيـة والقوميـة، والمتعلقـة بالسـلالة والدينيـة التـي حددتهـا الاتفاقيـة علـى أنهـا إبـادة جماعيـة سـوى بمرافقـة صعـود الأحـزاب، والـدول الدكتاتوريـة السـتالينية، فعندهـم أصبـح التعريـف الماركسـي للعـدو الطبقـي السياسـي برنامجًـا لتدمير الطبقات مـن خلال الترهيب والقتـل، وتُعلِمنا حالة طبقـة الفلاحيـن عـن ذلـك، إذ لطالمـا ازدرى ماركـس الفلاحيـن بصفتهـم طبقة، مؤمنًا أن أسلوب حياتهم عقبة لتطوير العلاقات الاجتماعية الرأسمالية الحديثة، ومن هنا جاء اهتمامه بحالات التخلص العدوانية من طبقة الفلاحين فـي إنكلتـرا، واعتقدَ بأن الفلاحين بتعلقهم الفـردي بالأرض كانوا غير قادرين علـى التصـرف بطريقة اجتماعيـة جماعية، أو على تنظيـم الإنتاج، وأن طريقة حياتهـم كانـت بحاجـة إلـى التغيير، وباتبـاع هذه المقاربـة رأى القادة الروس البلشـفيون الشـيوعيون أن زرع فكـرة ملكيـة أرض الفـلاح الفرد -إحـدى أهم نتائـج ثـورة عـام 1917م- تشـكل عائقًـا فـي طريـق خلـق الزراعـة الحديثـة في مجتمع اشـتراكي صناعي، رغم أن البلشـفيين أيدوا التحويل الاتفاقي للزراعة، وكان الحـكام المركزيـون فـي المجتمعـات الزراعيـة لا يتوانـون عن اسـتخدام القـوة لإخضـاع الفلاحيـن، فقـد نشـروا الذعـر مسـبقًا فـي الحـرب الأهليـة (1919م-1921م) لاستخراج المواد الغذائية لإطعام المدن.

بيد أن التدمير المرتبط بالإبادة الجماعية لطبقة الفلاحين بقي غير متصور إلى أن حوَّل ستالين دولة الأحزاب إلى دكتاتورية إرهابية شخصية، فكك النظام فيها قوة الفلاحين بشكل أساسي، ولتدمير أساليب حياة الفلاحين القائمة في عام 1929م أعلن ستالين جماعة الكولاك (مصطلح أشار تاريخيًّا إلى الفلاحين الأكثر ثراءً) بصفتهم عدو النظام، دافعًا بآلة دولة الأحزاب مجددًا إلى حالة الحرب الأهلية، حيث أطلق في عام 1930م هجومًا عسكريًّا، فدُمِّر الفلاحون بصفتهم طبقة عن طريق عمليات الترحيل والقتل الجماعي، والتجويع لهؤلاء المدعوين بالكولاك -طُبِّق المصطلح على نحوٍ غير محكم على الخصوم- وتم إعدادها من أجل التنظيم الجماعي بعد تحطيم قدرتها على المقاومة، إضافة إلى ذلك صدَّر ستالين الغذاء من المناطق الزراعية الرئيسة جامعًا هزيمة الفلاحين مع «مجاعة الترويع المخيفة التي صنعتها الدولة في عامي 1932م-1933م»[29] حيث بلغ عدد ضحايا المجاعة عشرة ملايين فلاحٍ، وتم تكرار هذا النوع من الحملات بوساطة نظام ماو في الصين في القفزة العظيمة إلى الطليعة بين عامي 1959م-1961م بأكثر من ثلاثين مليون وفاة»[30]، كانت طريقة حياة المزارعين التقليدية أيضًا هدفًا لحزب الخمير الحمر [Khmer Rouge] في كمبوديا في الأعوام بين 1975-1979م[31].

اخترع مان مصطلح الإبادة الجماعية الطبقية من أجل هذا النوع من العمل الإجرامي، فهو الامتداد المنطقي لنطاق مصطلحات الإبادة، إذا كان «من الضروري استخدام مصطلح منفصل من أجل كل نوع من الهجوم على الجماعات»[32]، من الواضح أن فكرة الطبقات الاجتماعية بصفتهم أعداء لتصفيتها بالترهيب والذبح هي تنوع متميز عن الاستهداف الأكثر شيوعًا

للمجموعات العرقية والقومية، لكنه ليس ظاهرة منفصلة على الإطلاق، وجُمعت عمليات الإبادة الجماعية الطبقية المعادية لطبقة الفلاحين مع حملات إجراميةٍ مشابهةٍ ضد المجموعات الاجتماعية الأخرى، وأُلحقت الأخيرة بها -الطبقات الأخرى والمجموعات العرقية والقومية. لم تكن مجاعة الترويع الخاصة بستالين وسيلة لتحطيم طبقة الفلاحين من خلال تركيزها في أوكرانيا وحسب، بل كان هدفها الثانوي الهوية الأوكرانية القومية، وكانت حملة ماو المعادية للفلاحين متطرفة بصورةٍ خاصة في التيبت، حيث صاحبها قمع الهوية القومية، وأتبعها بالثورة الثقافية الموجهة ضد الطبقة المتعلمة المدنية، وكانت سياسات بول بوت المعادية للفلاحين جزءًا من إبادةٍ جماعيةٍ شاملةٍ لأنواع المجموعات الاجتماعية كلها، بما فيها الأقليات العرقية والقومية التشام والفيتناميين والطبقات الأخرى كالطبقة المتوسطة المدنية والدينية.

كان عنف ستالين وماو شاملًا تمامًا لدرجة تجعل من السهل افتراض هذه الأنظمة «دكتاتورية»[33] و«إرهابية»[34]، تقوم فين التي تجادل بأنه لا بد لأهداف الإبادة الجماعية أن تكون مجموعات حقيقية، بتقديم نموذج هجوم ستالين على المخربين الذين زُعِمَ أنهم اعترضوا طريق سياسات الحزب الحاكم مثالًا للحملات ضد المجموعات المختلفة، وتجادل بأن «مهاجمة فئة لا مجموعة تُعد ظاهرة إرهابٍ أكثر منها إبادة جماعية»[35]، تظهر هذه الحالة العكس: إذ تحت ذريعة مهاجمة مجموعات المخربين الوهمية، ومجموعات معرفةٍ بطريقةٍ زائفة علميًّا مثل الكولاك تمت مهاجمة مجموعات حقيقية من الضباط والمفكرين والعمال والفلاحين، فأنظمة ستالين استبدادية، وتحتوي على إرهاب عام ضد أفراد المجتمع، لكن مجموعات معينة كطبقات أو قوميات، كانت مستهدفةً أيضًا بصفتها أعداء من نوع خاص لتدميرها بمعنًى قريب من الإبادة الجماعية.

ولأن الإبـادة الجماعيـة عملية سياسـية، فإن طبيعة مركـز المجرم وثيقة الصلـة دائمًـا بفهمهـا، فقـد كانـت عمليـات الإبـادة الجماعيـة التـي قامت بها الأنظمة الستالينية مميزة في تأكيدها الإبادة الجماعية الطبقية، وتكون عمليات الإبـادة الجماعية الاسـتبدادية عامةً مميزة في نزعتهـا لمضاعفة عدد الأعداء (مثـال آخـر هو النطاق الواسـع لأهـداف الإبادة الجماعية النازيـة)، ومع ذلك فـإن المزايـا الاعتيادية للإبادة الجماعيـة هي قهرية بدرجة أكبـر، في النهاية ليـس مـن المهم أي نـوع من المجموعـات المدنية الاجتماعية هي المسـتهدفة. أينما حاولت التنظيمات القوية المسلحة تدمير أي مجموعة مماثلة، فإن ابتعادًا شـديدًا عن السياسة العادية والحياة الاجتماعية سيقترب حصوله. وبالضبط، إن الكيفيـة التي يكوِّن بهـا مرتكبو الإبادة الجماعية المفاهيم حول المجموعات التي يهاجمونها، أمر أقل أهمية من حقيقة أنهم قادرون على تعريف المجموعات الاجتماعية بصفتها أعداء، فالخيال متأصل في الإبادة الجماعية، وفور شـروع نظـام أو حركـة بتدميـر مجموعة فإنه من المرجح اسـتهداف أخـرى، يجب ألا نعـدَّ مرتكبي عمليـات الإبادة ممثلين عقلانيين ومتناسـقي التفكير، فمهما كان الجوهر العقلاني الزائف لمشـروعاتهم الـذي يجعلهم يركزون على مجموعات معينـة بصفتهـا العدو، فإن ممارسـة التدمير لها دينامياتهـا الخاصة بها، التي تقـود غالبًا إلى التغيير في الاسـتهداف والتعريف والأسـاليب، الوجه الآخر من العقلانية الظاهرة للعنف المستهدف هو العشوائية التي تشكل تجربة الضحايا.

يوجـد سـبب آخر لكـون الإبـادة الجماعية الطبقيـة منفصلة عـن الإبادة الجماعية، وهو أن الطبقة مثل الجنس والسياسة، بعد من أبعاد الإبادة الجماعية بشـكل عـام، ففي معظـم عمليات الإبـادة الجماعية يكون العدو الأساسـي الذي

يجب تدميره مجموعة عرقية أو قومية، وعندها ستكتسب ممارسة الإبادة الجماعية منظور الطبقة لا محالة، «وفي بعض الحالات كما في راوندا تُفهم المجموعات التي تكون موسومة على أنها عرقية من الخارج، محليًّا على أنها طبقات»[36]، يهاجم مرتكبو عمليات الإبادة الطبقات بصورةٍ متباينة، فالثرية لثرائها -غالبًا ما يكون المرتكبون لصوصًا- وأصحاب المكانة الاجتماعية العالية من أجل أدوارهم الرمزية في المجموعة الضحية، والمثقفون من أجل قدرتهم على التعبير بوضوحٍ عن اهتمامات وقيم المجموعة، وغالبًا ما دخلت الطبقة إلى عملية الإبادة الجماعية في تخيير الناس بين أن يعملوا أو أن يقتلوا، ولذلك لا وجود للإبادة الجماعية الطبقية في مفهوم الإبادة الجماعية المستهدفة للطبقة، إذ يوجد بُعد طبقي عام للإبادة الجماعية يكون مشتركًا بين الطبقات كلها.

الإبادة الجماعية المدنية

إبادة أخرى تشغل بال الباحثين بصورة متزايدة رغم أنها لا تجد طريقًا إلى جدول مان، وهي الإبادة الجماعية المدنية، فقد كانت «المراكز المدنية وهي مراكز قوةٍ محصنةً في الأصل محورية في الصراع، وقد استهدفت الحرب الحديثة العواصم والمدن الصناعية بالقنابل والصواريخ النووية»[37]، وفي صراعات معينة أصبحت مناطق أخرى من المدينة مركزية، إذ أضحت التعددية وتعدد الأعراق والعالمية هدفًا للعنف، ويجادل مارتن كوارد Martin Coward بأنه يمكن القول إنه «التباين»[38]، الصفة المعرِّفة للمدنية، فإن تدمير الحياة المدنية هو تدمير لذلك التباين، ويسلط الضوء على تدمير المباني والنسيج

المدنـي بصفتهـا عناصر للمدنية، ولكن يجب النظـر إلى هذا الأمر، إلى جانب تدمير التعداد السـكاني والثقافة المدنية الجماعية، فمن الممكن ملاحظة آثار مكافحـة المدنية الجلية فـي حملات القوميين الصرب ضد سـراييفو، ومراكز مدنية عالمية أخرى في البوسنة والهرسك زمن الهجمات النازية على التدهور الفكري والفني، والهجمات الستالينية على الثقافة البرجوازية، ومكافحة المدنية الماويـة (إجبار المفكرين على العودة إلـى العمالة اليدوية في البلاد)، مُوجدة تعبيرهـا الأكثـر تطرفًا في إخـلاء الخمير الحمر لمدينة فنـوم بينه في 1975م، يحدد القوميون موقع قلب أمتهم في الأراضي الريفية التقليدية، ويحشدون قوة أكبر في الريف والمدن الصغيرة، ويهاجمون المقاومة المدنية في المدن.

ويمكـن الجـدال بـأن الإبـادة الجماعيـة المدنيـة هـي عنف مميـز مضاد للمدنيـة، ومـع ذلك فـإن مكافحـة المدنية تتضافر مـع أبعاد أخرى مـن الإبادة الجماعيـة، فهـي تمتلـك عنصـرًا طبقيًّـا وثقافيًّـا قويًّـا يترافـق مع هجـوم على النخب السياسـية المدنية، واسـتهداف عرقي قومي تقليـدي، إنها تمثل النزعة تجـاه تضاعـف الأعـداء المجتمعيـن بما أن مكافحـة العالمية هـي الوجه الآخر مـن القوميـة الحصرية التي تسـتهدف المجموعات العرقيـة المعادية، وبدرجة أقـل من الإبـادة الجماعية السياسـية والإبـادة الجماعية الطبقيـة تمثل الإبادة الجماعيـة المدنيـة مجموعـة مـن العمليـات السياسـية التـي يمكـن تمييزهـا بوضوح عن الأشـكال العرقية القومية الاعتيادية المستهدفة التي تخص الإبادة الجماعية، ونادرًا ما تُستهدف المجتمعات المدنية بصورة منفصلة عن الأنواع الأخرى من الاستهداف، ولذلك فإن أفضل صورة يمكن من خلالها فهم الإبادة الجماعية المدنية هي أنها البعد المكافح للمدنية من الإبادة الجماعية.

الإبادة الجماعية الذاتية

يمكننـا أن نتابع مدى أوسـع من مفهومـات الإبادة الجماعية، ولكن يحيط بالنقاش خطر التكرار، سـأذكر مصطلحًا واحدًا آخر فقط هو الفكرة الملفتة، الإبـادة الجماعيـة الذاتيـة التي تطبق من حيـث المبدأ على الحالـة الكمبودية، فغرابـة المصطلـح تكمـن فـي أنه يقتـرح التدمير الذاتـي، في حيـن أن الأفراد يهدرون أرواحهم بأنفسهم أحيانًا، الانتحار الجماعي أكثر ندرة، ولم يذكر أحد أنه قد حصل في أي إبادة جماعية بما في ذلك كمبوديا.

لقد عُرِّفت الإبادة الجماعية الذاتية بدلًا من «القتل الجماعي لأفراد من المجموعة التي ينتمي إليها مرتكبو جريمة الإبادة أنفسـهم»[39]، اشـتُقَّت الفكرة مـن افتراض وثيقـة الأمـم المتحدة بـأن الأهداف فـي الإبـادة الجماعية يجب أن تكـون عرقيـة أو قوميـة، أو تتعلـق بالسـلالة أو دينيـة، وهي توسـع هذا الفهم لافتراض أن عضويـة مجموعـة كهذه تعـرِّف المجرمين أيضًا، وبهـذا التعريف يمكن استخلاص أن القتل من قبل أعضاء من المجموعة العرقية نفسها لا يمكن أن يكـون إبـادة جماعيـة، ويجادل شاباس: «إن خلـط القتل الجماعـي لأعضاء المجموعة نفسها التي ينتمي إليها المجرمون مع الإبادة الجماعية متعارض مع أهداف الوثيقة، والمتمثلة في حماية الأقليات القومية من الجرائم المبنية على الكراهيـة العرقيـة»[40]، باتبـاع هذا المنطق العرقي أسـتطيع القـول إن حالة مثل كمبوديـا تشـكل إبادة جماعيـة يجب النظر إليها على أنها إبـادة جماعية ذاتية، فقـد تـم «تداول المصطلـح على الأغلب من قبل مقرر لجنـة الأمم المتحدة»[41]، محاولًا زج الحالة الكمبودية في تعريفٍ بدا أنه لم يسمح بها.

الفكرة غير تنويرية اجتماعيًّا؛ لأن حملة للقتل تُنشئ بالضرورة انقسامًا عميقًا بين القاتل والمقتول، والذي قد يُفترض أنه سيتجاوز أي هوية اعتيادية سابقة، تعرضت الخمير الحمر لاستهداف من عرقيات عدة، ولكنها لم تستهدفها بسبب عرقيتها، ومن ثمّ فإن ما توضحه فكرة الإبادة الجماعية الذاتية هو عدم الملاءمة المعترف به بشكل واسع لتقييد الوثيقة للمجموعة التي تتم حمايتها، يجلبنا انعكاس أوسع على طبيعة الإرهاب الكمبودي بشكل متساوٍ ضد هذا الفشل. أظهر بين كيرنان Ben Kiernan أن «جزءًا من حملة الخمير الحمر تدمير أقلية التشام، وكان إبادة جماعية وفق مصطلحات الاتفاقية»[42] يبدو من العقلاني النظر إلى الحملة ضد الأقلية الفيتنامية من المنظور نفسه، وهكذا نكون قد تُركنا مع الحجة نفسها بأن بعضًا من عنف الخمير الحمر المضاد للمجموعات كان إبادة جماعية، حتى وإن لم يكن من الممكن تجنب هذا التمييز قانونيًّا «كما يجادل شاباس»[43] فهو هراء من الناحية الاجتماعية.

لقد جهَّز نظام بول بوت حملة شاملة من التدمير ضد المجموعات الاجتماعية كلها المعترف بها فرضيًّا -عرقية قومية وطبقية ودينية- في المجتمع الكمبودي، ومن الغريب أن نصف هذه الحملة بالإبادة الجماعية بوقت أثرت فيه في أقليات عرقية أو قومية أو دينية، وبالإبادة الجماعية الذاتية عندما أثرت في مجموعات عرقية من الخمير، وبالجرائم ضد الإنسانية حين استهدفت التعداد السكان المدني المتكون من المثقف وطريقة حياة الفلاحين التقليدية، هذه المقاربة تشكل تشظيًا مفاهيميًّا مصطنعًا للعنف المعادي للمجموعات والتي لديها كتاب معتادون، وإطار إيديولوجي وحيد، ومسار منحنٍ مركب، ما نحتاجه هو المفاهيم والنظرية والتحليل التي تمكننا من فهم العملية المتممة لمثل هذه الأحداث.

الخلاصة

إن تكاثر مفاهيم الإبادة سبَّب كثيرًا من التشويش بقدر ما وضَّح الفهم حول العنف ضد المجموعات المدنية الاجتماعية (لخصت الحجج في الجدول 6.1). منذ سبعين عامًا مضت على بداية النقاش اشتكى لِمكن قائلًا إن: «العديد من الكتاب بدلًا من استخدام مصطلحات عامة يستخدمون المصطلحات الحالية المشيرة ضمنيًّا إلى بعض الجوانب الوظيفية فقط من الفكرة الرئيسة العامة من الإبادة الجماعية، وهكذا، فإن مصطلحات الألمنة والهنغرة والألطنة؛ على سبيل المثال استعملت للإشارة الضمنية إلى الفرض الذي تقوم به أمة قوية كألمانيا وهنغاريا وإيطاليا لنمطها القومي على المجموعة القومية التي تحكمها، رغم أن الباحثين الآن يصنفون الأحداث على أنها تطهير عرقي، أو إبادة جماعية عرقية، أو إبادة جماعية حسب جنس الأفراد، أو إبادة جماعية سياسية، أو إبادة جماعية مدنية بدلًا من النظر إلى محتواها الوطني المحدد، فمن الواضح أن شكوى لِمكن حازت قوةٍ جديدة يشار إليها من خلال هذه المفاهيم.

لا تزال خلاصة لِمكن مناسبة إذ يقول: «هذه المصطلحات غير ملائمة أيضًا؛ لأنها لا توصل العناصر الشائعة إلى الفكرة العامة، فاحتج بأن المصطلحات التي كان ينتقدها تعالج النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية بصورةٍ أساسية تاركةً الناحية الحيوية؛ كالتسبب بالانحدار البدني وتدمير التجمع السكاني المعني»[44]، يعكس المبالغون التصوريون هذا الخطأ بمطابقة الإبادة الجماعية مع التدمير البدني فقط، وفصل عمليات التدمير

الاجتماعي والثقافي، أو معالجة تدمير نوعٍ واحدٍ من المجموعات على أنه شكلٍ مختلفٍ عن أشكال التدمير الأخرى، ونحتاج الآن إلى أكثر من ذي قبل إلى إطار عمل نظري عام لنفهم العنف الذي يستهدف التجمعات السكانية المدنية، لقد شرحت السبب وراء أن بعض الاقتراحات البديلة الأكثر بروزًا غير مقبولة، لذلك من الأفضل استخدام الإبادة الجماعية بصفتها مفهوم الإطار الرئيس أو المفهوم الأساسي مع قبول أن معناه امتد من المعنى الأضيق للجنس البشري بصفة أممٍ أو مجموعة عرقية لتغطية تدمير أي نمط من الشعوب أو المجموعات.

يتضمن هذا الكتاب نقدًا للنزعات النظرية الحالية في دراسة الإبادة الجماعية، ونحن الآن مستعدون للانتقال إلى سؤال أصعب: كيف يمكن أن نفهم فكرة الإبادة الجماعية بصفتها إطارًا عامًا لفهم العنف المستخدم ضد المجموعات المدنية بصورةٍ اجتماعية؟ هذا ما سيكون موضوع الجزء الثاني من هذا الكتاب.

الجدول 6.1 تزايد المصلحات والحلول المتعلقة بها

المصطلح	المعنى 1	المعنى 2	الحل المقترح هنا
الإبادة الجماعية	تدمير المجموعة المستهدفة	القتل الجماعي المستهدف	مفهوم يؤطر العنف المدمر الموجَّه ضد المجموعات السكانية (نسخة عن 1)
المحرقة	المحرقة: اسم أطلق على الإبادة الجماعية التي نفَّذها النازيون ضد اليهود	إبادة جماعية مجرمة بصورة استثنائية (بوور)	الإبادة الجماعية النازية اسم أفضل؛ لأن المفهوم العام ليس مفيدًا

obeikan.com

التطهير العرقي	النـــزوح القســـري للمجموعات السكانية	مفهوم يُؤطر العنف ضـــد المجموعات (مان)	مصطلـح تلطيفـي يعبـر عـن النـزوح القسـري الـذي يعـد أحد طـرق الإبادة الجماعية: والأفضل للتعبير بمعانٍ معينة عن: الطرد و الترحيل ...إلخ
الإبادة الشعبية	مفهـــوم يؤطـــر كل أشـــكال القتل (روميل)		ليس مفهومًا مفيدًا: بحاجة إلى أن يميز الإبادة الجماعية عن أشـكال القتل الإفرادي خلال عمليات القمع
الإبادة العرقية	بديل عـــن الإبادة الجماعية (لِمكن)	التدميـر الثقافـي مـن دون البدنـي (الإبادة الجماعية الثقافية)	حل البديل الذي اقترحه لِمكن محله؛ (القمـع الثقافي)، ولا يعد إبادة جماعية إلا إذا كان جـزءًا مـن تدميـر اجتماعـي أعمق
الإبادة حسب الجنس	القتـــل الجماعـــي اعتمادًا على اختيار جنس الفرد المقتول		الاســتهداف حســب الجنس ضمن عملية الإبادة الجماعية
الإبادة السياسية	قتـــل تجمع ســـكاني معرَّف سياسيًّا	قتـــل النخبـــة السياسية	الإبـادة الجماعيـة لتجمـع سـكاني معرَّف سياسـيًّا أو الاستهداف السياسي بصفته جزءًا من إبادة جماعية لتجمع سكاني معرَّف قوميًّا وعرقيًّا

obeikan.com

الإبادة الطبقية	قتل تجمع سكاني معرَّف طبقيًّا		الإبادة الجماعية لمجموعة معرَّفة طبقيًّا
الإبادة المدنية	تدمير مركز مدني جماعي		البعد المعادي للمدنية من الإبادة الجماعية
الإبادة الذاتية	تدمير مجموعة عرقية من قبل أناس ينتمون إلى العرق نفسه		ليس مفهومًا مفيدًا: يظهر السبب الجوهري للسياسة التدميرية أنه لا يصف ما يجري

obeikan.com